اما اذا فسرنا بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار اما قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم هذا خطاب للكفار يعني وان
تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تؤمنوا به فيحصل لكم
بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر وان تعودوا نعد يعني وان تعودوا
لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ولن تغني عنكم فئتكم يعني جماعتكم شيئا يعني لا تغني
عنكم شيئا ولو كثرت يعني جماعاتكم وان الله مع المؤمنين يعني بالنصر عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا عنه يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان
التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته في الجهاد وانتم
تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من
القران والمواعظ وهذه صفة المنافقين ان شر الدواب عند الله يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق
عند الله الصم عن سماع الحق البكم عن النطق به فلا يقولونه الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه
ولا يقبلونه وانما سماهم دوابا لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون
نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب
بن عمير وسويبط بن حرملة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ولو علم الله قال الامام
فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن
عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم
ولو اسمعهم يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم ولم ينتفعوا بما سمعوا من المواعظ والدلائل لتولوا وهم معرضون يعني ولتولوا
عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن فقال الله تعالى ولو احيى لهم قصيا وسمعوا
كلامه لتولوا عنه وهم معرضون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة
والانقياد لامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان استجابة
الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل اكثر الفقهاء بهذه الاية
على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل
على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله اليه خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب
وهو يصلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك
السلام ما منعك ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله
الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد غيره
وقيل لو دعاه احد لامر لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم لما فيه حياتكم
قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لانه حياة القلوب وفيه النجاة
والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله تعالى اعزه به بعد الذل وقيل

هو

هو الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين
المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك
ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن ويكفر الا باذنه وقد دلت البراهين
العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان تتقدمها
الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء
هو الله تعالى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني
ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان
يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا
قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث
الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد والجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في
معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى
القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل
الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراءة وقوله تعالى وانه اليه تحشرون يعني في
الاخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي وقوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة لما اخبر الله انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت
بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا او تصل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار
وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الاية في
علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما نرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون
بها يعني ما كان فيهم في يوم الجمل وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المؤمنين
ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن
عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن يعذب الخاصة بعمل العامة يروا المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على
ان ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدي
ابن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها كمن فعلها
اخرجه ابو داود وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون
في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان
يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون الفتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من
الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجا او معاذا فليعذ به فان قلت
ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم من تفسيره
فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت ان الله تعالى مالك الملك

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)